مقدمة

دأب مكتب المغرب العربى على إصدار رسائل بين الحين والآخر ، تهدف إلى التعريف بقضايا أقطار المغرب والحركات الاستقلالية التى نشأت بها ، منذ أن فقدت استقلالها ورزحت تحت أثقال الاستعمار الأجنبى .

وقد تناولت هذه الرسائل نواحى مختلفة من حياة هذه البلاد التى كافحت وما تزال تكافح فى سبيل خلاصها واسترجاع سيادتها . فسدت بذلك فراغاً طالما شعر به إخواننا العرب ، خصوصاً فى هذه الظروف التى ترعرع فيها الوعى القومى بين الشعوب العربيـة ، وأصبحت قضايا المغرب تشـغل قادة العرب وزعماءهم بمثل ما تشغلهم قضايا الأقطار العربية الأخرى .

ولا شك أن التعرف على قضايا الشعوب العربية ودراسة مشكلاتها المختلفة وتحديد أهدافها هو الخطوة الأولى فى سبيل رسم الخطـة لتحريرها وتطمين مستقبلها . وإذا كان هذا أمراً ضرورياً بالنسبة للأقطار العربية عامة ، فهو أوجب بالنسبة لأقطار المغرب التي ظلت مجهولة من العالم العربى سنين طويلة ، وكان إذا عرف عنها شيئاً فإنمـا يعرفه بواسطة المصادر الأجنبية التى تحرص على إخفاء الحقيقة أو تلوينها بمـا يوافق مصلحتها الاستعمارية .

ولم يكن السبب فى هـذا راجعاً إلى تقصير المغاربة فى التعريف بقضايا بلادهم ، ولا إلى تهـاون إخوانهم فى الشرق العربى ، وإنمـا يرجع إلى النطاق الحديدي الذى ضربته الدول الاستعمارية علي أقطار المغرب العربى سنين طويلة ؛ محاولة بذلك فصلها عن بقية العالم ، وبخاصـة عن البلدان العربية ، حتى يتم لهـا تحقيق الأغراض التى ترمى لهـا من استعمار هذه البلاد فى غفلة عن العالم أجمع .

وهذا ما حدا بمكتب المغرب العربى إلى إصدار سلسلة من الكتب تتناول بالدراسة المفصلة أقطار المغرب الثلاثة (تونس والجزائر ومراكش) كلاً على حدة .

و « هذه تونس » هو الكتاب الأول من هذه السلسلة ؛ وهو يتناول بإجمال حياة هذه البلاد من خلال عصورها التاريخية مع إبراز معالم الحضارة التى نشأت بها فى عهد الاستقلال ، وحركة تجديد الدولة التى بدأت قبيل الحماية ، وكيف تسرب التدخل الفرنسي إلى البلاد فقضي على هذه الحركة وأخمد أنفاسها وانتهى بالاستيلاء على مقاليد الحكم بها تحت ستار الحماية . كما يتناول تاريخ الكفاح الشعبى فى طوريه الحربى والسياسى ضد الاستعمار الفرنسى . ثم يتناول الكتاب بتفصيل أحوال تونس السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

وسيعرف القارىء العربى من فصول هذا الكتاب أن الحماية الفرنسية ألحقت أبلغ الضرر بتونس وبالشعب العربى فيها ، وأن مهمتها كانت دائماً هى عرقلة تطور هذا الشعب وإغفال مصالحه وهضم حقوقه والعمل على تقوية العنصر الفرنسي بمختلف الوسائل على حساب العنصر العربي صاحب الحق الشرعى فى البلاد ، وأن الفرنسيين ساروا على سياسة استغلالية لا تقيم وزناً لمصالح الأهالى ولا تحفل بتقدمهم ، وأن الغاية التى سعت إليها خلال سبع وستين سنة منذ فرضت حمايتها على هذه البلاد هى إفقارها وتجهيلها والعمل على إدماجها فى العنصر الفرنسى ؛ لكي يتسنى لها إبقاؤها فى قبضتها الحديدية ، وحتى لا تصل فى يوم من الأيام إلى أن تحكم نفسها بنفسها .

ومكتب المغرب العربى إذ يقدم الكتاب الأول من هذه السلسلة يرجو أن يكون قد وفق لإرضاء رغبات القراء فى العالم العربى الذين طالما رغب إلينا الكثير منهم فى وضع هذه السلسلة التى تعرفهم بجزء لا يتجزأ من وطنهم العربى الكبير .

القاهرة فى ٩ أبريل ١٩٤٨